

القاتل .. الذى دافع عنه النائب العام!

مهاجرة "قصرى" بجزيرة "صندرو"

... وفى هذا الجو البشع الذى لا تطمئن إليه العدالة
صدر الحكم قاضياً باعدام « لاندرو » فعلت الصيحات
الجنونية مهللة فرحة .. فنهض النائب العام من كرسيه فزعاً
وصاح فى الجماهير :

— أيها الجبناء .. أي نوع من الناس أنتم أهكذا
تتضحكون فى الوقت الذى يسير فيه رجل الى الموت !
وعقب المتهم فى هدوء وقال :

— لقد أخطأت المحكمة .. انى لم أقتل
أحداً بالمرّة .

كان الاتهام الذى وجه إلى « هنرى ديزيرييه لاندرو » فى عام ١٩٢١ اتهاماً فذاً فى تاريخ المحاكمات الجنائية الحديثة . . فقد نسب إليه أنه قتل — على الأقل — عشر نساء من المائتين والثمانين اللاتي تعرّف وتحبّب وتقرب إليهن .

وقد جرت محاكمة « لاندرو » أمام محكمة فرسايل بفرنسا . . وهنا نقف لحظة لنشير إلى تعليق أغلب رواة الحوادث والمحاكمات الجنائية الشهيرة على ذلك : من أنه لو كانت محاكمة هذا الرجل قد تمت أمام « الأولديبلى » بلندن مثلاً لكان هناك شك كبير فى ثبوت الاتهام عليه . . وتمكن من أن يجد طريقه إلى الحرية فى يسر وبغير عناء ، لأن الأدلة التى استجمعت ضده كانت واهية ضعيفة غير محكمة ، بقدر ما كانت إجاباته على ما وجّه إليه من اتهامات ، قوية نافذة صائبة . . هذا إلى أن المشاهد التى جرت فى أثناء محاكمته كانت فى نظرهم مما يسيء إلى سمعة العدالة فى فرنسا ، ويشوه اسمها إلى حد كبير . . وسواء أكان « لاندرو » بريئاً أم مديناً فى الواقع ، فإنه من المقطوع به لدى هؤلاء الرواة أن رأسه سقطت على المقصلة — كما سقطت رؤوس آلاف من قبله فى أثناء الثورة الفرنسية — لا إرضاء للعدالة فحسب ، بل استجابة لصرخات العامة التى لا تنقطع .

* * *

في يوم الجمعة — الحادى عشر من ابريل عام ١٩١٩ — كانت
الآنسة د لاكوست ، الشابة تسير بشارع د ريفولى ، الشير بباريس
متنزهة ، وما أن مرت إلى جوار أحد محلات بيع الأواني الصينية ،
حيث كان يقف أمام واجهته رجل وسيدة يتفرسان فيها . . حتى استرعى
مراى هذا الرجل انتباهها ، إذ عادت إلى ذاكرتها في الحال صورته التى
لا يمكن أن تنسى بسهولة لفرط ما بها من علامات مميزة . . لا تقف عن حد :
العينين السوداويتين النافذتين ، والأنف الدقيقة المدببة . . بل تتعدى
ذلك إلى تلك الذقن الحمراء اللون ذات الشعر الكث المنسق ، والشارب
المعنى دائماً بهذيبه . . هذا إلى أن المظهر العام للرجل كان يوحى بالاحترام
والمهابة ، ويضعه في عداد صفوة الممتازين المختارين من بين طبقات الناس .
على أن هذا كله لم يكن الذى استرعى وحده انتباه الآنسة د لاكوست ،
واهتمامها . . بل أنها وجدت في هذا الرجل شخصاً سبق أن تعرفت
إليه منذ عام مضى أو يزيد تحت اسم د اندريه فريمينييه ، إذ قدمته
إليها شقيقته د مدام بويسون ، عندئذاك ، وأسرت إليها بأنه راغب
فى الزواج منها ، وبأنه من أصحاب المصانع الناجحين بمدينة د ليل ، . .
وبعد أيام من ذلك التعارف خرجت مدام د بويسون ، من منزلها
للتستحضر رداء زفافها المرتقب ، ولكنها لم تعد بالتالى إلى هذا المنزل
ومنذ ذلك اليوم انقطعت أخبارها عن العالم تماماً . .

ولقد كانت الآنسة د لا كوست ، تشك دائماً في أمر المسيو د فريمينيه ،
وتحس في قرارة نفسها بأنه على علم بما جرى لشقيقتها المختفية . .
ولكنها فشلت في الاهتداء إلى مقره ، حتى إذا ما رآته في ذلك
اليوم متطلعاً مع مصاحبه إلى واجهة المتجر بشارع د ريقولى ، استقر
عزمها وتصميمها أن تقتنى آثاره إلى أن تكشف بالضبط عن
حقيقة أمره . .

وأسرعت الآنسة د لا كوست ، بإبلاغ البوليس الذى تبين له أن
د أندريه فريمينيه ، يتخذ اسم د لوسيان جوييه ، ، ويعلن عن نفسه بأنه
مهندس . . ويقم في شقة أنيقة بباريس مع الفتاة الجميلة التى كانت تسير
معه في شارع د ريقولى ، والتى تدعى د سيجريه ، .

ولقد أوضحت الآنسة د لا كوست ، أيضاً إلى البوليس أمراً عجيباً
عن السيد د فريمينيه ، أو د جوييه ، . . إذ قالت بأنه كان قد اتصل
بها لشهور قليلة ماضية داعياً إياها إلى زيارته وتناول العشاء معه ومع
شقيقتها — التى كانت قد اختفت منذ سنة — فى شقتها بباريس . .
وكادت تقبل الدعوة لرغبتها وتشوقها إلى رؤية شقيقتها . . ومعرفة مقرها
ولكنها رفضت تلبية هذه الدعوة إلا بعد أن تتصل بها شقيقتها المختفية
شخصياً . . إلا أن هذا الاتصال لم يتم بالمرّة مما جعلها تعتقد اعتقاداً جازماً بأن
هذه الشقيقة قد لاقت حتفها بطريقة ما يعرفها جيداً هذا السيد البديع الصورة .

وبعد أن قام البوليس ببعض التحريات التي استغرقت ثلاثة أيام من تاريخ اتصال الأنسة « لاكوست » به . . . ألقى القبض على « لوسيان جوييه » . . . وبذلك بدأت سلسلة طويلة من الاجراءات والتحقيقات التي لا نظير لها في عالم الجريمة والإجرام استغرقت سنتين ونصف مثل بعدها هذا الرجل أمام القضاء ليقول كلمته فيه . . .

وكما كان الرجل يسمى نفسه « لوسيان جوييه » عند ضبطه . . . وكما كان يتسمى باسم « أندريه فرينيه » عندما تعرف إلى الأنسة « لاكوست » فقد كان اسمه مقيداً في سجلات البوليس على أنه « هنري ديزيريه لاندرو » ، أما السبب في معرفة البوليس له وتخصيص سجل باسمه فلأنه كان قد اتهم في عديد من حوادث الاحتيال المختلفة الصور . . . ولو أن لاندرو أنكر هذا الاتهام منذ اللحظة الأولى . . . صارخاً في دهشة :

— عفواً . . . إن اسمي هو لوسيان جوييه . . . المهندس !

ولكن . . . كيف يمكن أن يطلق البوليس سراحه بعد أن ضبط مفكرة تحوى أسماء لعشر سيدات قرين كل منهن تاريخ معين . . . تبين بعد البحث أنه التاريخ الذي اختفت فيه الواحدة منهن من الوجود ؟ ولقد ازداد الطين باة عندما اكتشف البوليس أيضاً أن « لاندرو » هذا كان يملك في وقت ما — انتحل فيه اسم « ديبون » — منزلاً بقرية « جامبيه » التي تبعد أربعين ميلاً عن باريس أطلق عليه اسم «

« قبيلا أرميتاج ، . . وأنه اعتاد أن يقابل هناك عديد من السيدات كن يفدن إليه على أثر نشره بعض إعلانات الرغبة في الزواج . . هذا إلى أن كثير من النسوة — أحصى البوليس ما لا يقل عن سبعة وتسعين منهن — أبلغن عنه البوليس متهمن إياه بالاستيلاء على جانب من ثروتهن أو أثاثهن المنزلى .

ومن عجب أن « لاندرو ، أجاب البوليس بقوله :

— « إنى غشاش مخادع . . هذا حقيقى . . ولكنى لست بقاتل . .

وذلك على أثر اتهامه منه بقتل السيدات اللاتي دخلن فى نطاق مغامراته أو احتيالاته ولم يشاهدن أحياء بعد ذلك ! فلقد أنكر منذ اللحظة الأولى معرفة أى شىء عن مصير هؤلاء المختفيات . . حتى أولئك اللاتي جاء ذكرهن فى مفكرته الخاصة . . مصرحاً بأنه إنما كتب أسماءهن لأمر تتعلق بعمله كمتعامل فى مسائل الأثاث المنزلى المستعمل ، وأن التواريخ التى وضعت أمام هذه الأسماء إنما هى تواريخ انتهاء التعامل معهن . . فما ذنبه إذا كن قد اختفين بعد ذلك أو لم يعثر لهن على أثر ؟ !

وهكذا جاءت الصعوبة وتولدت عقدة الإثبات . . فكيف السبيل

أزاء هذه القرائن إلى إثبات أنه اغتال هؤلاء المختفيات . . وإلى هدم تصريحاته التى أدلاها عن علاقته بهن ؟ .

ولقد كانت السيدة الأولى التى وقعت فى حبائل لاندرو — كما قال الاتهام فى أثناء المحاكمة — هى « مدام كوشيه ، الأرملة الفاتنة والى كان لها ابن يبلغ الثامنة عشر من عمره عندما اتصلت به — وقد اختفيا معاً بعد هذا الاتصال بقليل .. ولكن لاندرو قرر أنه لا يعرف من جهة سبباً لاختفائهما .. وأنها حقيقة اتصلت به على أثر نشره إعلاناً للزواج .. كما وأنها زارته مراراً وذلك لإلحاق ابنها بأحد الأعمال .. وهكذا نشأت بينهما عاطفة الحب العميقة إلى أن تركت شقتها الخاصة بباريس وقطنت قتيلاً فى « فرنوييه » فترة ما ..

ولم يجد الاتهام ما يؤيد رأيه من أن لاندرو قتل هذه السيدة وابنها بعد أن باعت الأولى أثاثها وسحبت ما وفرتة من مال سلمته كله إلى المتهم أملاً فى زواجه منها .. إلا باستقدام شقيقتها « مدام فريدمان » لتشهد أمام المحكمة بأنها حلت فى أثناء رقادها بأن شقيقتها التعيسة قد قتلت !!

فلما سأها القاضى :

— وما الذى يدعوك إلى الظن بأنها قتلت ؟

أجابت :

— لأنها لو كانت حية ترزق لما تركت لاندرو يذهب هكذا إلى

المقصلة وهى تحبه حباً عنيفاً نادراً ..

إنها إجابة رائعة حقاً .. ولكنها ليست بدليل على كل حال على اتهامه بالقتل !. فإذا غضضنا النظر مؤقتاً عن وجود بعض ملابس هذه الأرملة وولدها في حوزة لاندرو .. وإلى ما ثبت من تصرفه في ممتلكاتها .. لما وجدنا أى دليل آخر بالمرّة على أنهما لقيا حتفهما على يديه أو أنه يعرف كيف فارقا العالم !.

أما الذى ثبت حقيقة فإنه فى الوقت الذى قيل بأن مدام كوشيه وولدها قتلا فيه .. اتصل المتهم بأرملة تدعى « مدام لابوردلين » .. وذلك على أثر نشرها إعلاناً فى الصحف برغبتها فى العمل كمرضة .. ولم يكن اتصاله بها لهذا السبب بل لظنه أنها قد تكون فى غير حاجة إلى ما لديها من أثاث منزلى بعد أن تحصل على العمل الذى أعلنت عنه .. وبالفعل تبين أنه تولى أمر بيع أثاثها فى شقتها بباريس وأنها رحلت معه على الأثر فى إحدى سيارات الأجرة .. وإن كانت لم تشاهد حية بعد ذلك !

أما كيف اختفت « مدام لابوردلين » فهذا ما لم يعرفه أحد بالضبط .. وإن كان لاندرو قد اتهم طبعاً بقتلها .. وما ذلك إلا لأن البوليس عثر فى حوزته على بطاقة إثبات شخصيتها !.

وقد كان دفاع لاندرو دائماً فى أثناء محاكمته ينحصر فى أنه كان يتولى بيع أثاث هؤلاء النسوة إذ كان يتعامل فى تجارة الأثاث المنزلى

المستعمل . . وأيد دفاعه هذا بما ورد في الأوراق التي وجدت في حوزته من الإشارة إلى الأرقام التي نتجت له عن كل عملية من العمليات . . فقد ذكر قرين اسم « مدام لابوردلين » ، مثلاً أنه قد حصل من وراء بيع أثاث شقتها على سبعة وخمسين جنياً . . وهكذا فإنه كان يتولى عملية البيع . . ثم يسلم للعميلة ما تستحقه بعدما يحصل على عمولته . . ثم يودعها دون أن يراها بعد ذلك لانتهاه معاملته معها ! !

ولكن الاتهام أصر بالرغم من ذلك على القول بأنه ما كاد « لاندرو » يتخلص من « مدام لابوردلين » ، حتى أوقع في حبائله أرملة ثالثة هي « مدام جويلان » ، التي كانت ذات ممتلكات محدودة وأثاث منزلي بسيط وما لبثت هذه أن أخبرت صديقاتها في نثار بعزمها على الزواج مرة أخرى من سيد محترم يعمل قنصلاً عاماً في أستراليا ! — ولم يكن هذا القنصل العام سوى لاندرو ! — حتى باعت الأرملة المرحلة أثاث شقتها الباريسية . . ورحلت إلى فيلا لاندرو في « فرنويه » ، وبعد ذلك لم يشاهدها أحد على الإطلاق !

ولم تكن « مدام جويلان » ذات حسن أو بهاء . . بل كانت بديهة دميمة . . ولهذا فقد قيل لذلك أنها كانت فريسة سهلة للاندرو . . إلا أن قبحها هذا كان مثار تعليق من القاضى . . والمتهم معاً . . إذ قال الأخير عنها :

— إني لا أعرف من تكون . . بل أن القاضى نفسه قد تفضل فوصفها بالدمامة والادعاء . . إذ كانت تتحلى بأروع الملابس فى الوقت الذى كانت تضع فيه على رأسها شعراً مستعاراً . . باحثة بذلك عن زوج . . ولهذا فليس من المستبعد أنها ابتكرت كل هذه الأقايصيص التى نسجتها حول زواجها من « القنصل العام فى أستراليا » ارضاء لنزعها وإشباعاً لكبرياتها أمام صديقاتها ! !

ولقد تقدمت سيدة من صديقات « مدام جويلان » لتأدية شهادة مثيرة يمكن أن تلقى بعض الضوء على السبب الذى حدا بلاندرى إلى الإجهاد على صديقتها إذا كان ما نسب إليه فى هذا الشأن حقيقى . . فقالت : إن الأرملة التعسة أخبرتها بأنها كانت ذات يوم تزور « لاندرو » فى فيلته بفرنوييه . . وانتهزت فرصة تغيبه فى الحديقة بضع دقائق وعمدت — بدافع غريزة حب الاستطلاع لدى المرأة — إلى التطلع من ثقب مفتاح أحد الأبواب التى كان صاحب المنزل يحرص دائماً على إحكام رتاجه ، فدهشت إذ رأت ملابس نسائية عديدة متناثرة إلى أرض هذه الحجرة المغلقة . . ولما أخبرت لاندرو بما رأت وسألته تفسيراً لوجود هذه الحاجيات النسائية بالحجرة ، فارقه حله وثباته وانفجر غاضباً مهتاجاً . . وبعد قليل تمكن من استعادة جنانه وأخبرها بأن هذه الحجرة تحمل ذكرى غالية لديه هى وفاة والدته بها . . ولذلك فقد

حرص على إغلاقها بالحالة التي تركتها الوالدة الراحلة عليها . . وفاء منه وذكرى .

وعند ما تكاثر عدد الشهود الذين تقدموا إلى المحكمة مقررین أن «لاندرو» كان على صلة بمدام جويلان وأنه وعدّها مراراً بالزواج صاح فيهم قائلاً :

— إني أحتج على كل هذه الأقوال . . فكيف يمكن لمخلوق أن يتصور أنى أرغب فى الزواج من هذه المرأة ذات المظهر العادى . . والشعر المستعار . . والثقافة الناقصة . . والتي تشبه فى تصرفاتها وعاداتها «الفسالات» !!

على أنه ثبت فى الوقت نفسه أن هذه «الفسالة» قد وقعت قبل اختفائها — أو قتلها — وثيقة تخول للاندرو الحق فى الاستيلاء على ممتلكاتها والتصرف فيها كيفما يشاء . . وأنه باع بالفعل بعد هذا الاختفاء ممتلكاتها وأثاثها وسحب ما كانت قد ادخرته فى أحد المصارف ١١

ولقد اتضح أن «لاندرو» قد ترك منزله فى فرنوييه واشترى كوخاً صغيراً فى «جامبيه» ، وكانت أول قطع الأثاث التى عنى باستحضارها إلى المأوى الجديد «فرن للطهى» لعب أمره دوراً هاماً فى أثناء محاكمة صاحبه الطويلة . .

وإلى هذا الكوخ الصغير الذى أطلق عليه اسم «أرمتاج» استدرج



« هنري ديزل، لاندرو »

فتاة صغيرة تدعى « أندريه بابلاى » بعد ما قابلها فى أحد قطارات
المترو بباريس . . ووجدتها فى حالة من الحزن والأسى على أثر فقدانها
لعملها كمرضة . . ومن عجب أنه أواها أول ليلة لتعرفه لها فى شقته
الصغيرة بباريس . . وفى صباح اليوم التالى قصدت هذه الفتاة إلى
حيث والديها وأخبرتتهما بعزمها على الزواج من سيد يدعى « جوييه » ،
وكان هذا آخر عهد الوالدين بابنتهما الغضة الشباب التى اتهم « لاندرو »
بقتلها ضمن من اتهم بقتلهم . . كما أنهما لم يشاهدا هذا الذى قيل أنه
قتل ابنتهما إلا فى أثناء وقوفه أمام القضاء .

ولقد كانت المفكرة الخاصة التى ضبطت فى حوزة « لاندرو » ،
من الأهمية بمكان عظيم لأنها كشفت عن أسماء النساء اللاتى تعاملن
معه وخدعن . . وأولئك الذين اختفوا عقب اتصاھن به أيضاً . .
كما وأنه كان يدوّن فى هذه المفكرة بيانات مالية دقيقة تشمل فيما
تشمل دخله وخرجه يوماً بعد يوم .

سأله القاضى ذات مرة فى أثناء محاكمته :

— أثبت فى مفكرتك أنك اشتريت فى يوم ١٧ مارس تذكرتين
للسفر إحداهما للذهاب والإياب من باريس إلى « جامبيه » — حيث
الفيلا — وبالعكس . . والآخرى للذهاب فقط . . أو ليس لى الحق
أن أسألك عما إذا كان الأمر مجرد صدقة أم لا ، إذا لاحظنا أنك فى

كل مرة تذهب فيها إلى هذه الضاحية تشتري تذكرة مزدوجة وأخرى للذهاب فقط ؟ أفلا نكون على حق إذن إذا استنتجنا من هذا التصرف أن ضحيتك المسكينة التعيسة التي ترافقك في هذه الرحلة تكون في الواقع قد كتبت عليها الفناء في نظرك فلا تستحق عناء شراء تذكرة عودة لها إلى باريس .. معك ١١ .

على أن « لاندرو » لم يذعر لمثل هذا السؤال بل أجاب في هدوء :
— كل ما ألاحظه على هذا السؤال أن الاتهام يعتمد دائماً إلى المغالطة فليست هذه الملاحظة بالتي تثبت أني ارتكبت جريمة قتل ! ومهما يكن من أمر فلي تعليل بسيط أزاء الأنسة « بابلاي » بالذات .. فقد اشتريت تذكرة ذهاب لها فقط إذ كانت تزمع عند سفرها على أن تقيم في « جاويه » حيث الطبيعة الهادئة والهواء المنعش كيما تسترد صحتها .. ولقد عادت بعد ذلك من هذه الضاحية الريفية بعد أن وجدت لها عملاً في باريس . ولقد وجدت بعض أوراق شخصية لكثير من النسوة المختفيات بين ما عثر عليه في حوزة « لاندرو » ولهذا كان الاتهام على حق — فيما يبدو — عند ما سأله :

— أوليس هذا عجيباً ؟ ! ما الحكمة أن تحتفظ بأوراق شخصية

لكل هؤلاء النسوة اللاتي اختفين من على وجه البسيطة ؟ ! .

ولم يلبث « لاندرو » أن أجاب في برود :

— إذا كانت النساء تؤثرن بالثقة فما ذنبى أنا . . ولماذا لا أكون محلا لها ١٩ .

على أن هذه الإجابات السديدة من جانب «لاندرو» وهذا الذكاء المتقد لم يمنعه من أن يسقط بين يدى البوليس على أثر مشاهدة الأنسة «لاكوست» له فى ذلك اليوم المشثوم بشارع ريشولى ، وهكذا شق طريقه - ببطء - إلى المقصلة ١١ .

ولقد قبض على «لاندرو» فى إبريل من عام ١٩١٩ . . ولكنه لم يمثل أمام القضاء إلا فى نوفمبر من عام ١٩٢١ . . وفى خلال هذه المدة دأب البوليس على تفتيش فيلته فى «جامبيه» وعلى جمع البيانات من هنا وهناك حول النسوة المفقودات . . جارياً وراء الإشاعات طوراً . . منقباً بين الأوراق طوراً آخر . . وفى كل يوم من أيام هذه الفترة الطويلة التى تبلغ زهاء عام ونصف عام كان «لاندرو» يمثل أمام المحققين حيث يسأل ويستجوب ويناقش ويواجه بالشهود العديدين . . بل ويهدد ويهان . . كل ذلك أملاً فى انتزاع اعتراف منه . ولكنه صمد لهذا كله وأنكر كل مانسب إليه . . كما وأن كل الجهود التى بذلت لم تسفر عن العثور على أية جثة من جثث أولئك اللاتي قيل بأنه قتلهن . . بل لم يعثر على أى عضو آدمى يمكن الإهتمام بواسطته إلى واحدة من أولئك المفقودات العديداً . . وكان كل

ما ووجه به كدليل على القتل بضع أوراق وخطابات . . وملابس نسائية متناثرة . . وحفنة من العظام المهشمة !! .

ومع ذلك كله فلم يعدم الاتهام أن واجهه بستم آلاف مستند . . ومائة وأربعين شاهداً . . للتدليل على أن كثيراً ممن اتصلن به قد اختفين لا قتلن !! .

ولقد كان المفهوم من جانب الاتهام أنه ينسب إلى د لاندرو ، حرق جثث ضحاياه . . ولذلك فقد استقدم عديد من الشهود للتدليل على أنهم شاهدوا د دخاناً مريباً ، ينبعث من مدخنة فيلته ا وفي ذلك كان د لاندرو ، يتساءل :

— ومتى وكيف يصبح الدخان مريباً ؟ 1 .

ولكنه لم يحظ بجواب شاف . . بل اضاف ساخراً :

— إنى أعتقد تماماً أن هؤلاء الشهود لم يشكوا فى أمرى إلا بعد أن قرأوا فى الصحف نبأ القبض على . . وبعد ما سمعوا نظرية الاتهام من أنى كنت أحرق جثث ضحاياى ا .

ويجب بهذه المناسبة ألا ننسى بأن قضية د لاندرو ، شغلت الصحف الفرنسية — بل وغير الفرنسية — مدة عامين على الأقل ، كان فى خلالها كثير من الكتاب ينسج الروايات حول تصرفاته واغتيالاته لعشيقاته ثم يطالب فى النهاية برأسه ودمه . . وهكذا فإنه عند ما مثل هذا

المتهم التعس أمام القضاء كانت الجماهير تنتظر في لهفة نبأ الحكم بإعدامه متعطشة إلى رؤية دمه يسيل على المقصلة سواء ثبت الإتهام عليه أم لم يثبت . . . وسواء وجد مذنباً أو غير مذنب في نظر القضاة والمحلفين .

ولقد حاول الأستاذ « مورو جيافرى » أشهر محامى عصره وبلده فرنسا ، محاولة مثيرة طويلة أن ينقذ رأس موكله « لاندرو » ، وكان موفقاً عندما بدأ مرافعته عن المتهم بالإشارة إلى القانون المدنى الفرنسى وحكمه فيما يختص بالأشياء الخاصة بالمفقودين . . . فطبقاً لهذا القانون لا يمكن أن تسلم هذه الأشياء لأقارب المفقود إلا بعد مضى أربعة سنوات على الأقل وبشرط أن يتعهد هؤلاء بردها إلى أصحابها متى عثر عليهم . . . ولا يمكن أن تصبح هذه الأشياء ملكاً لأقارب المفقود وعائلته ملكية نهائية إلا بعد مضى ثلاثين سنة على الأقل لا يعثر فى خلالها على أثر له وأردف بعد ذلك يقول :

— ترون من ذلك كيف أن القانون يحتاط حيطة تامة بالنسبة للأشخاص المفقودين . . . أو الذين يفترض أنهم مختفين . . . فلا يعتبر القانون أن الشخص المفقود أو المختفى ميتاً أو قتيلاً . . . فتصوروا معى مثلاً أن « لاندرو » ، هذا قد مات . . . فطبقاً للقانون المدنى الفرنسى لا يمكن لأحد من أقارب النسوة التى عثر لديه على منقولات وأشياء خاصة بهن أن يتسلمن هذه المنقولات والأشياء إلا بعد مضى أربعة سنوات . . . ولا تنتقل الملكية النهائية إلا بعد ثلاثين سنة ، لأن القانون لا يعتبر أن

اختفاءهن يعنى موتهن .. فلماذا تريدون أنتم أن تعتبروا هؤلاء المفقودين موتى أو قتلى .. بينما لا يمكن اعتبار منقولاتهن مباحة للأهل إلا بأوضاع معينة ؟ .

فلماذا كل هذا .. وعاء إثبات الموت أو القتل واقع على النائب العام .. الرجل اللبق الذى سألكم مراراً رأس هذا المتهم أن تظهر على المقصلة .

فأى تناقض فى كل ذلك ؟ ! أى تناقض بين القانون المدنى ومنطق النائب العام ؟

إن القانون لا يعتبر أن صاحب الحاجة متوف أو مفقود ، وهذه الحاجة لا تساوى إلا فرنكات معدومة .. بينما يعتبر النائب العام أصحاب هذه الحاجيات مفقودين أو قتلى ويطالب بدم هذا الرجل وبرأسه ! . لقد كان فاتحة الدفاع منطقية ومقبولة ومعقولة ، ولكن كل ذلك كان فى الواقع بلا جدوى .. بل لم يثمر مثقال ذرة فى انتزاع الفكرة التى تسلطت على كل الأدمغة من أن المائل المائل أمام المحكمة قد قتل عشيقاته وحرقت جثثهن .

وعندما قبض على « لاندرو » كانت تعيش معه الآنسة « سجرية » ولقد كانت شهادتها أمام القضاء لذلك محل نظر واهتمام .. وبالرغم من أنها ظلت سنتين تستمع إلى الاتهامات العديدة التى وجهت إلى

عشيقها .. فإنها أدلت بأقوال ، وهى فى كرسى الشهادة ، تدل على أن ما سمعت لم يرتق أية درجة عن مرتبة الكلام الذى لا وزن له ولا قيمة فى نظرها .

قالت هذه الشاهدة الجريئة :

— لقد قابلت « لاندرو » أول ما قابلته مصادفة .. كان ذلك فى يوم من أيام شهر مايو عام ١٩١٧ عندما ركبت الترام فى طريقى لشراء بعض حاجياتى .. فلقد لفت نظرى سيد ، مهذب ، محترم ، قدم لى عن طيب خاطر مقعده .. وكان هذا السيد هو المتهم المائل اليوم أمامكم .. ولذلك فإنى لم أتردد فى لقائه فى اليوم التالى عند « قوس النصر » إذ أن أدبه الجم وطريقته اللطيفة أسرتنى .

وبعد اللقاء الأول توثقت عرى الألفة بيننا .. وبعد أن تكرر لقائنا .. أصبح من عادتنا أن نلتقى كل يوم تقريباً .. إلى أن أخبرنى ذات يوم باسمه « لوسيان جوييه » ومهنته « مهندس » والحق أنى بدأت أحبه ولم أتردد فى تقديمه إلى أهلى .. ولقد حضر بالفعل لزيارة عائلتى فى اليوم الأول من عام ١٩١٨ فترك أثراً طيباً فى النفوس ، وقالت ولدتى لى عنه أنه لطيف المعشر .. وهكذا أصبح من حقه التردد على منزلنا .

لقد كان المتهم دائماً رقيقاً وطيباً معى ، ولذلك فإنى أجله وأقدره

دائماً . . ولقد وهبت نفسي له لأنى أحبته ولأنى كنت دائماً أشعر
بالسعادة معه . . إني أعنى ما أقول تماماً . . ولا أندم عليه مطلقاً . .
فلقد أحببت هذا الرجل ولا زلت أحبه .

ولقد كانت كل الأقوال التى قالتها الآنسة «سجريه» جريئة ودالة
على شجاعة نادرة . . إذ كان من الصعب عند المحاكمة أن يجابه شاهد
الجمهور المتعطش لدم المتهم . . ولكنها فعلت ذلك وأكثر منه إذ قالت
بأنها زارت «لاندرو» عديداً من المرات فى فيلته بضاحية «جامبيه»
ولما سئلت :

— وهل شاهدت عظاماً آدمية فى فرن مطبخ المتهم عند ما كنت

لديه فى يوم ٤ ابريل سنة ١٩١٩ ؟

أجابت فى حزم :

— أبداً . . إن هذا السؤال يدهشنى . . لقد اعتدت أن أنظف الفرن

وأن أعيد ملئه بالوقود . . وأنى واثقة من أنه لم تكن به عظام بالمرّة . .

ومع ذلك فإن البوليس أكد بأنه وجد فى هذا الفرن عظاماً

آدمية بعد ذلك التاريخ بأيام ١١

ولقد كانت الفصول الختامية لمحاكمة «لاندرو» مما يسىء إلى سمعة

القضاء فى بلد متمدين كفرنسا . . فى اليوم المحدد لسماع الحكم فيه

انعقدت محكمة فرسايل فى مكانها التقليدى، وما أن فتحت أبوابها حتى

الأول الذى كان يطالب دائماً برأس المتهم ودمه . . فنهض هذا الرجل
— النائب العام — من كرسیه فزعاً لهول ما رأى وسمع . . وصاح
بأعلى صوته :

— أيها الجبناء . . أى نوع من الناس أنتم ؟ ! أهكذا تتضحكون
وتبتهجون فى الوقت الذى يسير فيه رجل إلى الموت ؟ !

ومن أعجب أن د لاندرو ، تمالك أعصابه وضبط زمام نفسه حتى
النهاية . . فلم تثره هذه المشاهد بالمرة . . بل عقب على الحكم عليه
بالإعدام قائلاً فى هدوء :

— لقد أخطأت المحكمة . . إنى لم أقتل أحداً بالمرة .

وفى الليلة السابقة لإعدامه كتب د لاندرو ، إلى النائب العام
د المسيو جودفروى ، الذى قاد حملة الإتهام ضده رسالة تعتبر حدثاً
فذاً فى تاريخ المحاكمات . . وقد استهلها بقوله :

— لقد أخذت تلو أوراق الإتهام . . وألبت ضدى المواد التى
يحتويها قانون العقوبات . . وعوامل الإثارة والتهديد والتخويف . .
ثم حدجتنى بنظراتك لعلك تجد من جانبي بادرة حركة . . أو أى
إشارة للين أو لميل . . ولكنك كلما كنت تمعن فى التطلع إلىّ كنت
تشاهدنى أتطلع إليك فى الوقت نفسه ! .

لقد أخذت بروعة ردودى الصائبة التى كانت تولد الشك لديك . .

هذا الشك الذى كان مفزعا لك يا من كنت تقود الإتهام . . ومع ذلك فقد حاولت جاهداً أن تحصل منى على كلمة واحدة . . كلمة واحدة فقط دون جدوى .

لقد بحثت عبثاً بين ثنايا أدلتك واتهاماتك . . التى تعرف قيمتها وتقدرها حق قدرها . . كما تجد أى شىء يمكن أن يقوى عضدك ويرفع الشك عن كاهلك ، ولكن بلا فائدة . . ولا شك أنك بحاسة العدالة المستأصلة فى نفسك كنت لا تلتقى بالآ أو اعتماداً على أقوال أولئك النسوة العجائز اللاتى قدمن إلى ساحة المحكمة ليرددن أقوالاً لاتعبر إلا عن شعورهم الخاص . .

ثم أشار « لاندرو » فى كتابه إلى القرن الذى أكد النائب العام أن جثث الضحايا كانت تحرق فيه . . فقال :

— إن هذا القرن يا سيدى ما هو إلا أداة صغيرة تصلح للعب الأطفال وربما لهوت يوما ما يا سيدى «المسيو جودفروى» أنت وشقيقتك فى طفولتكما بمثل هذا القرن . . كم كان هذا القرن صغيراً بالنسبة للجرائم العديدة التى قيل بأن ارتكبتها بمعونه ١٩

ولم ينس « لاندرو » أن يتهم من النائب العام الذى اتهم الجماهير بالجبن علناً عند ما كانوا يصيحون عقب النطق بالحكم . . فكتب :

— لم هذه الثورة . . وهذا التأنيب . . فإذا كنت مذنباً فلماذا

تثور على الجمهور وتؤنبه ؟ ! أأست وحشاً كما كنت تقول . . فلماذا إذن
تقف الآن إلى جانبي لترد عادية الشعب الثائر على ؟ . . لقد انتهى كل
شئ ونطق القضاء بالحكم . . ولقد قابلت أنا هذا الحكم بهدوء . .
ولكنك انقبضت . . وما ذلك إلا لأن ضميرك قد تحرك ؛ وأن ضمير
القاضي المعذب لعدم ثقته في حكمه ليعدل عذاب المجرم المذنب . .

وداعاً ياسيدى النائب العام . . فلسوف ينتهى تاريخنا معاً فى الغد .
إنى أموت بنفس بريئة وضمير ساكن . . وإنى إذ أطلب إليك
أن تقبل تحياتى المخلصة لأرجو أن تكون مهيباً عند ما تقبل الموت
ومستعداً له مثل ما تهيأت له واستعددت . .

وهكذا كانت كلمات د لاندرو ، الحتمية التى قذف بها فى وجه
النائب العام . .

وسيان كان د لاندرو ، بريئاً أم مذنباً فإنه مما لاشك فيه قد أثار
الرأى العام العالمى . . لا بالجرائم التى نسبت إليه فحسب . . بل بهذه
القوة الفذة المنقطعة النظير فى عالم المحاكمات والقضايا . . قوة العارضة
والحجة الناهضة التى كاد أن يتغلب بها على قوات الاتهام التى حشدت
سنتين طويلتين أو يزيد ضده . . فلا ريب أنه كان فى كل دقيقة
من الدقائق التى لا عدد لها والتى مثل فيها أمام الاتهام والقضاء يشعر
برهبة موقفه وحروج مركزه . . ويعتقد أن كلمة واحدة تفلت منه

قد يكون فيها القضاء عليه قضاءً مبرماً . . ومع ذلك فإنه في ميدان الكفاح الطويل المرير الشاق هذا قد كسب الموقعة . .

لقد فقد القضاء ومثّلوا الاتهام مراراً أعصابهم . . ولكن لا ندرو ، ضبط باستمرار أعصابه وجنانه . . ولم تبد عليه أية بادرة من الخوف أو الفرح أو التردد . . بل إن صوته احتفظ دائماً بنبرته السليمة وجسمه بحركاته المتزنة .

لقد أفرغ قضائه بحججه الدامغة وبأسئلته الرصينة . . وعلى الأخص عند ما كان يقول صائحاً :

— قدموا لي الأدلة على أني قتلت هؤلاء النسوة اللاتي تتهمنوني

بقتلن . . إن عليكم أنتم إقامة الدليل على ما تدعون .

وبما يذكر أن قضية « لاندرو » ظلت مادة خصبة وفيرة للصحف

والمؤلفين والرواة مذ قبض على هذا الرجل إلى يومنا هذا . . وقد انبرت

كثير من السيدات بالذات إلى الدفاع عنه بعد موته . . وكتبت بعضهن

في الصحف — بعد سقوط رأسه على المقصلة — ذكريات بأنهن كن

على صلة به وأنه كان مثال الرجل المهذب والمحب الصادق الأمين .

والحق أن شخصية « لاندرو » الوديعه المهادنة وسمته العالية وتصرفاته

الناطقة السديده ما كانت توحى أبداً بأنه قاتل سفاح . . بل إن القضاة

أنفسهم الذين مثل أمامهم كثيراً ما حدجوه بنظراتهم عليهم يحدوا وراء

مظهره الرائع شيئاً خفياً .. ولكن عبثاً ما كانوا يفعلون !! ..
حدث مرة أن قال له أحد القضاة معلقاً على ما هو معروف من
تأثير عينيه النافذتين :

— « لاندرو ، .. من المستحسن أن تضع على عينيك رباطاً مثل
الرباط الذى تضعه ، آلهة الحسن ، على عينيها .

فكانت إجابته الحازمة على الفور :

— لا شك أن سيدى القاضى يقصد ، آلهة العدالة ، .

ولربما كان القاضى والمتهم معاً على حق .. !